

## الفصل الخامس عشر عمر الخيام وأبو العلاء المعري - هل هما صنوان؟

لعله من الظلم البين أن نقارن بين الخيام والمعري.

ولم تكن بنا حاجة إلى عقد مثل هذه المقارنة لولا المشابهة الملحوظة بين موضوعات المعري وكلماته في بعض أشعاره، وبين ما ذهب إليه الخيام في الكثير من رباعياته، مما يمكن اعتباره ترديداً ونقلا عن المفكر العربي الذي كان وما يزال أعجوبة من أعاجيب العبقرية العربية والإسلامية .

والشاعران برغم البون الثقافي بينهما والاختلاف في اتجاهاتهما وشخصيتيهما، إلا أنهما في النهاية من المفكرين الإسلاميين الذين عانوا القلق الميتافيزيقي، وزاوجوا بين الشعر والفلسفة وكانا من أدياء التمرد، سواء في الشكل الفني أو المضمون الفكري، وكانا ينشدان بأديهما أو شعرهما خلقاً عالم جدي أفضل وجدير بالإنسان.

والشاعران تناولا الزهد والدنيا والدين والأهل والناس والمجتمع ومسائل الفلسفة والميتافيزيقا. وربما كانت هناك ملابسات في حياتيهما تقضي بالمشابهة أيضاً في التربية والتعليم، فلقد عاشا عصريين من عصور القلق والفتن والاضطربات، وكانت نوافذ الفكر مفتوحة على مصاريعها، فالتقت فيهما روافد ثقافية شتى، ونهلا من كل الثقافات والفلسفات، وأطلعاً على كل التيارات الأدبية والعلمية والفكرية. وظهر كل ذلك على أشعارهما، فاتهما بنفس التهمة : الزندقة وإنكار البعث والمعاد والحساب.

وكانت لهما شطحات دينية واجتهادات إشراقية، وتشابهاً فنياً فكان أحدهما عاشقاً للجمال في الصورة والصوت، والثاني بحث عنه في الكلمة وبناء الفكرة، وعاش كلاهما وجوداً أسياناً، وتجرداً ورفضاً الزواج عن مبدأ، واعتزل إخوان السوء، وتنكباً السياسة، وجرّباً النُسك وكانا من رهبان الفكر، وعاشا للفلسفة واقتاتا بها، ولم يختلف موتهما عن حياتيهما، فماتا ميتة فلسفية يستحقانها .

والمعري يجئ قبل الخيام، وكانت ولادته نحو سنة ٣٦٢هـ، ومرض بالجدرى فذهب بصره سنة ٣٦٧ هـ، وتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

ويبلغ التأثير والتأثر بين الشاعرين إلى حد أن بعض الرباعيات تأتي كأنها ترجمة للمعري - كهذا البيت الذي يقول فيه المعري :

خطوب تالت لا يزال معذباً \* أخوها وصلت كل كف وساعد

ومثله فى الوزن والقافية والكلمات عند الخيام:

إذا قنعت نفسى بميسور بلفحة \* تحصلها بالكذ كفى ومساعدى

\*\*\*\*\*

ومما قاله المعرى وله مشابهه عند الخيام وبينه النقاد وأفاضوا فى شرحه:

اجتنبُ الناسَ ومثُنْ واحداً \* لا تظلمُ الناسَ ولا تُظلم

\*\*\*\*\*

فلا يفورك بشراً من صديق \* فإن خميره إحْنٌ وخِيبُ

\*\*\*\*\*

وليس عندهم دين ولا نمك \* فلا تفرك أيدٍ تحمل السُّبحاً  
وكم بشيوخ غدواً بيضاً مفارقهم \* يُسبحون وياتوا فى الخنا سُبْحاً

\*\*\*\*\*

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإنما \* ديانتكم مكر من القدماء

\*\*\*\*\*

إذا رجع الحصيف الى حجاه \* تهاون بالشرائع وأزدراما

\*\*\*\*\*

حياةً ثم موتٌ ثم نمرٌ \* حديثُ خرافة يا أم عمرو

\*\*\*\*\*

مساجدكم و مواخيركم \* سواء، فبُعداً لكم من بشرى

\*\*\*\*\*

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا \* ولكن بأمر سببته المقابر

\*\*\*\*\*

ما باختياري ميلادي ولا هرمي \* ولا حياتي - فهل لي بعد تخيير؟

\*\*\*\*\*

أرى شواهد جبر لا أحققه \* كأن كلاً إلى ما ساء مجرد

\*\*\*\*\*

أرواحنا معنا وليس لنا بها \* علم فكيف إذا حوتها الأثير؟

\*\*\*\*\*

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة \* أي المعاني بأهل الأرض مقصود  
لم تعطنا العلم أخباراً يحيى بها \* نقل ولا كوكب في الأرض مرصود

\*\*\*\*\*

نمر سراماً بين هدمين مالدا \* لبات كائناً عابرون على جسر

\*\*\*\*\*

وما تريد بدار لست مالكاها \* تقيم فيها قليلاً ثم تنطلق

\*\*\*\*\*

الله صوّدي ولست بمالم \* لِمَ ذاك؟ سبحان القدير الواحد

\*\*\*\*\*

ريب الزمان مفرّق الإلفين \* فاحكم إلهي بين ذاك وبينى  
انهبت من قتل النفوس تمعداً \* ويعتت أنت لقتلها مكين؟  
وزممت أن لها معاداً ثانياً \* ما كان أهما من العالين!

\*\*\*\*\*

سألتوني فأبيتني إجابتم \* من آدمي أنه دار فقد كذبا

\*\*\*\*\*

أقر بان لي رباً قديراً \* ولا ألقى بدائعه بجمد

\*\*\*\*\*

جميعنا يخبط في هندس \* قد استوى الناس والكهل

\*\*\*\*\*

خلف الهواء ما أظن أديم الأ \* رض إلا من هذه الأجساد  
وتبيح بنا وإن قدم العهد \* سد هوان الأباء والأجداد  
سِرْ إن أسطعت في الهواء رويدا \* لا اختيالاً على رفات العباد

\*\*\*\*\*

وما نفيق من السكر المحيط بنا \* إلا إذا قيل هذا الموت قد جاء

\*\*\*\*\*

فلا يمس فخاراً من الفخر هاند \* إلى عنصر الفخار للذبح يضرب  
لعل إناءً منه يُصنع مرة \* فياكل فيه من يشاء ويشرب  
ويُنقل من أرض لأخرى وما نرى \* فواهاً له بُعداً لبلى يتفرب

\*\*\*\*\*

لعل مفاصل البناء تضحى \* طلاءً للسقيفة والجدار  
وكم وطئت أقدامنا في ترابها \* جبين أخى كبر وهامة أبلج

\*\*\*\*\*

وما الناس إلا خالف بعد سالف \* كذلك نبت الأرض يعقبه النبت

\*\*\*\*\*

تيمموا بترابى علّ فعلكم \* بعد الصمود يوافيني بأفراضى  
وإن جعلت بحكم الله في خَرْف \* يقضى الطهور فإنى شاكر راضى

\*\*\*\*\*

خذنا الآن فيما نحن فيه وخبيا \* خدأ فهو لم يقدم، وأمس قد مرأ

\*\*\*\*\*

إنما نحن في ضلال وتعليل \* فإن كنت ذا يقين فهاته!

\*\*\*\*\*

أرى الأشياء ليس لها ثبات \* وما أجسامنا إلا نبات

\*\*\*\*\*

أرى فلُكاً ما زال بالخلق دائراً \* له خبرٌ هذا يُصابُ ويُخبأ

\*\*\*\*\*

بلوت أمور الناس من عهد آدم \* فلم أر إلا هالكا إثر هالك  
إذا كان هذا التُرب يجمع بيننا \* فامل الزوايا مثل أهل الممالك

\*\*\*\*\*

أراك الجهلُ أنك في نعيم \* وأنت إذا افتكرت بسوء حال  
وما سمحتُ لنا الدنيا بشئ \* سوى تعليل نفس بالأحوال

\*\*\*\*\*

يَسَارٌ ومُدْمٌ وإذْكَارٌ وفُكْلٌ \* ومزٌ وذُلٌ، كل ذاك فـرود

\*\*\*\*\*

ربّ متى أرحل من هذه الدنيا \* فإنسى قد أطلت المقام  
لم أدر ما نجمي ولكنه \* مذ كان في النحس جرّي واستقام

\*\*\*\*\*

والخير والشر ممزوجان ما افترقا \* فكلُّ شَهِدٍ عليه الصاب مذرور

\*\*\*\*\*